الإبدال اللغوي

أو

الاشتقاق الكبير

إن الإبْدال والقلبَ اللغويَّين هما ظاهرتان لغويتان من ظواهر التطور الصوتي ، وبحثٌ من أبحاث علم الأصوات اللغويّة : (١) Phonétique الذي أُلّف فيه علماء الغرب كتباً جليلةً ، وأنشئوا له معاهد ومخابر علميّة خاصة ؛ ولم يقصّر من سلفنا الصالح للحياة فقهاء اللغة العربية ، فقد عرفوا كثيراً من أصوله وأسراره ، وفيما اشتملت عليه حَوايا كتب اللغة والاشتقاق والصرف والتجويد كثير من مبادئ علم الأصوات اللغوية منثورةً ومنشورة فيها ، ومن تلك المبادئ والأسرار اللغوية بحث (الإبدال اللغوي) الذي سموه : الاشتقاق الكبير ، كما سموا بحث الصرف بالاشتقاق الصغير ، والقلب اللغوي بالاشتقاق الأكبر ، وكان العكس من الإنصاف وصدق التعبير : بأن يُسمّى الإبدالُ اللغويّ لخطورته بالاشتقاق الأكبر ، والقلب اللغوي بالكبير .

كتب الإبدال وصُوَّنفوها . — وجمع علماء العربية مثل الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ومن أخذ عنهما كثيراً من ألفاظ لغتنا التي جاؤا بها من البدْو وتسقّطوها من أفواه الأعراب وصنفوها في رسائل خاصّة ، وبينها كثير من ألفاظ الإبدال ؛ والخليل أول من اعتمد على ما جُمع من ألفاظ اللغة ، وصنف

---

(١) ويقال له أيضاً Phonologie .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في العربية كتاب العين المشهور ، فكان قدوةً لمن تبعه من أصحاب المعاجم وكتب اللغة والنوادر والقلب والإبدال ، ومن كتب الإبدال المعروفة : إبدال أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ ، وأبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي أخذ عنه أبو عمر الزاهد صاحب اليواقيت والمعروف بغلام ثعلب ، وعن أبي عمر هذا أخذ أبو الطيب اللغويّ عبد الواحد بن علي الحلبيّ صاحب الإبدال الذي ينشره اليوم مجمعنا العلمي العربيّ ، فقد جمع في إبداله ألفاظ من سبقه في جمع ألفاظ الإبدال ، وزاد عليهم كثيراً من النظائر المتعاقبة ؛ ومن كتب النوادر التي اشتملت على هذه النظائر : نوادر الأصمعيّ وأبي زيد الأنصاريّ وابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ وأبي مِسْحل عبد الوهاب بن حريش[1] وغيرها من نوادر اللغة ، وينقل لنا أبو الطيب اللغويّ في إبداله كثيراً من ألفاظ الإبدال عن اللحيانيّ وأبي عبيدة ، والجرميّ وقطرب ، والفرّاء واليزيديّ ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وكراع والأمويّ وغيره ، وفي حواشيه كثير من هذه الألفاظ بخط شيخ صاحب اللسان الراوية الحافظ رضيّ الدين الشاطبي ، وبعض هذه الألفاظ من حواشي الإمام ابن برّي ؛

وهنالك أقوال في الإبدال ، وأبواب معقودة للنوادر في آخر كتاب الجمهرة لابن دُريد ، وفي الغريب المصنف لأبي عُبيد ، وفي أمالي القالي أبواب لأنواع من الإبدال اللغويّ ، وفي شرح شواهد الشافية للبغدادي كثير من ضروبه ، كما أنه في الجزء الأول من الخصائص ، وفي ابن جني على تصريف المازني كلام مفيد في الإعلال والقلب والإبدال ، وفي الجزء الأول من المزهر للسيوطيّ أقوال منتقاةٌ من الجمهرة ، وشرح الفصيح للبطليوسي ، ومن أمالي ثعلب وديوان الأدب للفارابي وصحاح الجوهري وشرح التسهيل لأبي حيان .

(١) وقد ظفر الدكتور عزة حسن امين المخطوطات الظاهرية بنسخة جليلة نادرة منه في الآستانة وسينشرها مجمعنا العلمي قريباً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن بحث وألّف من المتأخرين والمعاصرين احمد بن فارس عصره صاحب سر الليال في القلب والإبدال ، وللأستاذ عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق أبحاث لغوية ممتعة في الابدال ومسوّغاته [1] ، ولشيخنا الطاهر الجزائري في كتابه التقريب لأصول التعريب مباحث عن الإبدال واللثغات ، وقد تكون هذه اللثغات من أسباب الإبدال ، أو تشويه الأصوات اللغويّة ، فقد جاء في بغية الوعاة للسيوطي (٩٧) أن الركن محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القوبع النحويّ كان يلثغ بالراء همزة ، ونعلم أن واصل بن عطاء كان يلثغ بالراء أيضاً وانه كان يتجنبها لبلاغته في خطبه ، وكان عبيد الله بن محمد النحوي الموصلي يلثغ بالراء غينا كأهل باريس ، فقال له الفارسيُّ : — ضعْ ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها ، وأكثِرْ مع ذلك ترديد اللفظ بالراء ، ففعل فاستقام له اخراج الراء في مخرجها ، فهو بذلك يشبه ديموستين خطيب اليونان الشهير الذي كان يروض لسانه بوضع حصاة تحته ويخطب أمواج البحر حتى قوّم ما اعوجّ من لسانه وأصبح يسحر السامعين بحسن بيانه .

وقال أحمد فارس في سر الليال (٧٢) : ومن الغريب أني وجدت الغين منقلبة عن الراء في عدة ألفاظ ، وهي عكس لثغة باريس : فإنهم يقلبون الراء غينا !

ان التطوّر الصوتي قد يجري مترقيا أو متدنيا [2] ، وهذه اللثغات بأنواعها من أسباب تشويه الأصوات العربية السويّة وتدنّيها ، فقد يكون جدّ القبيلة ألثغ

---

(١) ولعميد كلية الشريعة بدمشق صديقنا الاستاذ محمد المبارك كتاب ينشره اليوم في فقه اللغة بحث فيه عن الابدال اللغوي بحثاً صحيحاً ، ويوالفنا على الله أم والفع من القلب واحق منه باسم الاشتقاق الاكبر .

(٢) سنتكلم عن أحوال التبدّل الصوتي في العربيّة ببحث مستقل مفصّل ونكتفي الآن بالإشارة اليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيسمعه أولاده صغاراً فيكتسبون هذه اللثغة من أبيهم ، وقد يتكاثر أولاده وأحفاده ، ويصبحون كجدهم الشيخ شيوخاً أولي قوةٍ وعصبية قبليّة متناصرة ، والرعية على دين رُعاتها أبداً ، وبذلك تنتشر هذه اللثغة أو العاهة التي فطروا عليها ، وبذلك قد تتشوّه لغة القبيلة ، ويكون هذا التطور الصوتي البطيء من بواعث التدني الصوتي ، ولأمرٍ ما كان الباريسيون يلثغون بالراء غيناً دون غيرهم من الفرنسيين ، وعرفت لثغتهم باللثغة الباريسية . وقد شعر أطباء اللغة منذ بهذا المرض اللغويّ (اللثَغ) فحاربوه بقوةٍ وعالجوه بما وضعوه من الكتب أو الرسائل في أصول النطق العربي القويم ، وقد اشتمل عليها علم التجويد : أي تجويد القرآن ، وتحسين النطق به كما ينطق فصحاء العرب .

واللثَغ : آفة لسانية يتحوّل بها اللسان من السين أو الصاد الى الثاء ، أو من الراء الى الغين أو اللام أو الياء ، أو من حرف الى حرف ، وقيل ان لا يتم رفع اللسان في الكلام وفيه ثقل ، والرثغ لغة فيه ، ويقال لهذه التحولات لثغات منها (الرَّتَة) ، والألَثّ الذي يجعل اللام ياءً ولا تكاد كلمته تخرج من فيه ، و (اللكنة) عُجمة في اللسان المطبوع عليها فتظهر في كلام الألكن فيقال فلان يرتضخ لكنة فارسية أو تركية فلا يقوى على إقامة العربية ، ومنها (اللَّيَغ) والألْيغ الذي لا يبيّن حروف الكلام ويرجع كلامه الى الياء ، ومنها (الخَنَة) وهي ضرب من (الغنة) كأن الكلام يرجع الى الخياشيم ، و (الثَمْثَمة) كلام الذي تغلب على كلامه الثاء والعين ، ومنها الحُكلة والعُقدة والحُبسة وغيرها من عيوب الكلام .

ومن هذه الكتب التي وضعت لتقويم اللسان بإخراج الحروف من مخارجها وبمقابمة اللثغات ومحاولة إصلاحها : كتاب الارتضاء في الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي ، والمراد في كيفية النطق بالضاد : لعيسى بن عبد العزيز اللخميّ ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكل من أحمد بن ابرهيم اللؤلؤي ، ومرجي بن كوثر المقري النحوي كتاب في الضاد والظاء ، ولابن برهان سعيد بن المبارك كتاب الضاد والظاء ، وكتاب الغين والراء ، ولأبي البركات بن الأنباري كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وهنالك كتب أخرى لا مجال لسرد أسمائها ، وذكرنا هذه الكتب على سبيل المثال ، وإن بعض هذه العيوب اللسانية قد ينتقل بالوراثة من الآباء للأبناء كالتأتأة والفأفأة وهنالك أمرٌ في الشام يتوارث التأتأة أبناؤها التَّمتامون ؛ وقد كثر السنديون في العصر العباميّ بالبصرة للعمل فيها فانتشرت لكنتهم ورطاناتهم بين العرب : قال العباميّ في شواهد التلخيص (١/٣١) : كان أبو عطاء السندي يرتضخ لكنة سندية فيجعل الجيم زايًا ، والشين سينًا ، والطاء والضاد دالاً ، والعين همزةً ، والخاء هاءً فيقول : مرهبا ، هياكم الله ! ، ولا يزال أهل دير القمر في جنوبيّ لبنان يقولون : دَوّ القمر بدل ضوء القمر ، ولا يدري أحد كيف فسدت ضادهم ، ولا الزمن الذي تمّ فيه هذا الفساد ، وقيل هي لغة ثقيف وهذيل ، وما يدريك أنهم ثقفيون .

واللثغة إذا تفشّت في قومٍ وانتقلت من جيل الى جيل ورسخت فيهم أصبحت لهجة أو لغية ، وقد تلتبس على علماء اللغة فلا يدرون أللثغة هي أم لغة ؟ فقد جاء في المزهر (١/٥٠٦) في باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الألثغ لا يعاب) قال السيوطيّ : والأصل في هذا النوع ما ذكره الثعالبيّ في فقه اللغة قال : أنا أستطرف قول الليث عن الخليل : الذعاق كالزعاق سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغة أو لثغة ؟ وجاء في الصحاح : اللهس لغة في اللحس أو هَهَة (لثغة) ، أقول : فان كانت لثغة أو لكنة فلعلها سندية الأصل ، وقد مرّ بنا أن أبا عطاء السندي كان يقلب الحاء هاء ويقول : مرَهبا !

وقد ينشأ القول بالإبدال كاللثغ عن التصحيف واللكنة ، وربما لا يكون إبدالاً ، فقد جاء في القاموس : الشَّقَلَّع كالشَّعَلَّع زنةً ومعنى ، ثم قال المجد : أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذه تصحيف ، والصَّواب الشَّمَلَّعُ ، وكثيراً ما يقول علماء اللغة مثل هذا ، وقال محمد بن المكرّم في لسانه (دشش) : الدشّ اتخاذ الدشيشة ، وهي لغة في الجشيشة ، قال الأزهري : ليست بلغة ولكنها لكنة ، فلو أن صاحب التهذيب ألف في الإبدال لأدخل (الدشيشة والجشيشة) في باب (الجيم والدال) من إبداله ، ولولا الأخذ بالحديث لتحقيق اللغة لما رجع الأزهري عن قوله في الدشيشة (ولكنها لكنة) ، فقد استشهد بعد ذلك على أنها لغة بقوله : وروي عن أبي الوليد بن طَحْفَةَ الغفاري أنّ النبيّ (ﷺ) قال لخمسة من أصحاب الصفة دعاهم الى منزله : « انطلقوا ، قال : فانطلقنا الى بيت عائشة ، فقال : يا عائشة أطعمينا ، فجاءت بدشيشة فأكلنا ... » ثم قال الأزهري : فدل هذا الحديث ان الدشيشة لغة في الجشيشة انتهى ؛ وكثيراً ما لا يتفق لعلماء اللغة الاطلاع على حديث صحيح يصحح آراءهم في نظائر الإبدال .

الإبدال ونوعاه . — إن الإبدال اللغويّ نوعان : الأول (الإبدال النحويّ أو الصرفيّ) وهو الذي يحدث مع حروف البدل الاثني عشر التي يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته) فالطاء تبدل من التاء في افتعل اذا كانت بعد الضاد نحو (اضْطَهَد) أصلها (اضتهد) وزان افتعل ، ونحو (اصطبر) ، وبعد الظاء أيضاً في افتعل نحو (اظطلم) من الظلم ، وهكذا سائر حروف البدل الشامل كما لا يخفى .

قال أبو علي القالي في أماليه : (٢ / ١٨٦) : اللغويون يذهبون الى ان جميع ما أمليناه إبدال ـ أي كمدّ ومتّ وقدّ وقطّ ، وقضمَ وكدم ـ وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو ، وانما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفاً [1] :

---

(١) وابن سيده في مخصصه (١٣ / ٢٦٧) يجملها ثلاثة عشر : ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك (اليوم تنساه) تسقط السين واللام من الحروف العشرة ، وخمسة من غيرهن ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تسعة من حروف الزوائد ، وثلاثة من غيرها ، وأما حروف البدل فيجمعها قولنا : (طال يوم أنجدته) ، وهذا أنا عملته .

تعريف الإبدال اللغوي . — والنوع الثاني ، وهو موضوع بحثنا اللغوي ، ويُراد به « إقامة حرف مقامَ حرف مع إبقاء سائر أحرف الكلمة » فتشترك الكلمتان بحرفين أو أكثر ، ويبدل حرف منها بحرف آخر يقاربه مخرجاً أو صفةً نحو (قضب وقضم ، وقطع وقطم ، وقصب وقصف) مثلاً ، فقد اشترك الزوج الأول (قضب وقضم) بحرفين منها وهما القاف والضاد ، واختلفا بالباء والميم ، وقد ابدل أحدهما من الآخر ، وهما من مخرج واحد ، أي حرفان شفويّان .

ثمّ إنّ حرف الابدال الثالث في الكلمات الثلاثية قد يكون فاء الفعل أو عينه أو لامه فمثاله وهو فاء الفعل (خبن وغبن) ، وعين الفعل (رسم ورشم) ، ولام الفعل (قضب وقضم) .

وقد تكون الكلمتان رباعيتين (كتوْلَج ودَوْلج) ، والبدل في الحرف الأول منها ، والأحرف الثلاثة الأخرى باقية على حالها ؛ أو خماسيتين والبدل في الحرف الثاني مثلاً نحو (جِرسام وجِلسام) الذي تسميه العامة البِرسام ، ومثال الفعلين السداسيين : (اعرنكس الليل واعلنكس) اذا أظلم ، ومثال الاسمين السداسيين : جُرُبّان السيف وجلبّانه : قرابه ؛

وقد يكون هذا الإبدال أو التعاقب بين الحروف المتقاربة في المخارج والصفات أو في احدهما ناشئاً عن تطوّر صوتي في مراحل متوالية وأزمنة متعاقبة لأسباب لا يُبتُّ في معرفتها ، وقد يكون التبادل الحرفيّ غيرَ متعمَّد ، وسببه اختلاف القبائل المتكلمة بها ، قال أبو الطيب اللغويّ في مقدمة كتابه الإبدال المشار اليه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف ، وانما

(١) المزهر (مط عيسى البابي الحلبي) ١ / ٤٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هي لغات مختلفة لمعان متفقة : تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنىً واحد ، حتى لا يختلفا إلاّ في حرف واحد ؛ قال : والدليل على ذلك أنّ قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرةً وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدَّرة عيناً كقولهم في نحو أنْ (عَنْ) ، لا تشترك العرب في شيءٍ من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون ؛

ولم يقتصر الإبدال على الشعر والنثر من كلام العرب فقد جاء في القرآن المبين والحديث أيضاً ، مما يدل على تمكنه من اللغة العربية ووقوعه في جميع طبقات البيان ، قال احمد بن فارس في فقه اللغة : من سنن العرب ابدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض : مدحَه ومدهَه ، وفرس رِفَلّ ورِفَنّ ، وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العلماء ، فأما قوله تعالى : « فانفلق فكان كل فرْقٍ كالطود » فاللام والراء متعاقبتان ، كما تقول العرب : فَلَق الصبح وفَرَقَه ؛ وذُكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » إنما أراد : فحاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء .

ومن فوائد الإبدال : أن معرفته قد تدفع الاتهام بالتصحيف ، وقد وقع ذلك لكثير من أئمة اللغة ، وبفضل اطلاعهم على أسرار الإبدال أحسنوا الدفاع عن أنفسهم ، فقد جاء في اللسان (عدف)[1] : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوفاً ولا عَدوفة ، قال : وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :

ومجنّباتٍ ما يَذُقْنَ عَدوفةً يقذِفْنَ بالمُهَرات والأمهارِ

بالدال ، فقال لي يزيد : صحّفتَ يا أبا عمرو ، إنما هي عذوفة بالذال ،

(١) وانظر ابدال ابن السكيت ص ٥٤ ، قال صاحب اللسان : وهذا البيت في التهذيب منسوب الى قيس بن زهير كما أوردته ، وقد استشهد به ابن برّي في أماليه ، ونسبه الى الربيع بن زياد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال فقلت له : لم أصحّف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال ، وسائر العرب بالدال .

ومن فوائد الإبدال اللغوية أو الاشتقاق الكبير أنه قد ينتفع به في وضع المصطلحات العلمية ، وذلك بتخصيص اللفظتين المتعاقبتين لمسميين متشابهين في العمل ، وبينهما علاقة معنوية مثال ذلك ما جاء في لسان العرب (ارث) قال : والأُرَث والأُرف : الحدود بين الأَرْضين ، واحدتها : أُرْثة وأُرفة ، فيجوز أن نضع (الأُرثة) لكلمة Borne أي المنار بين الأرضين المتجاورتين دفعاً للنزاع بين الجارين ، و (الأرفة) للحد بين البلدتين أو الدولتين ، وبلدة (أرفة) اليوم وهي الرُّها قديماً ، واقعة بين إقليمنا الشامي وتركية مثلاً ؛ قال ابن سيده : وأرّث الأرضين : جعل بينهما أُرثة ، وقد وضع المعجم الزراعي لصديقنا ورئيس مجمعنا الأمير الشهابي كلمة (التأريث) مقابل Abornage بالفرنسية ، ويراد بها وضع المنار بين الأرضين ، وجعل (التأريف) لما يقابل (Cadastre ، وفي طبيعة لغتنا العربية للجواهر مناجم تحتاج اليها المعاجم أبداً .

وجاء في كتاب الاشتقاق [1] لعبد الله أمين (ص ٣٧٠) بعد أن بحث عن الإبدال ، وضرب مثالاً لما يمكن أن ينتفع به في اشتقاق اسمين لمسميين متشابهين في الشكل والعمل أو في أحدهما بقوله :

مثال ذلك : الغُمْنة والغُمرة ، وهما لَبَن تطلي به المرأة وجهها ويديها حتى تَرِقّ بَشَرتها . يمكن أن يسمّى المسحوق الذي يَطلي به السيدات وجوههن وأيديهن (غُمرة) [2] ، والمعجون الذي يستعمل استعماله : (غُمْنة) بابدال النون من الراء لتقاربهما مخرجاً وصفةً ، انتهى . عز الدين التنوخي

(١) من أمتع ما وضع في الاشتقاق ، وهو غير الصرف والنحو ، لأنه يبحث عن أصول الكلمات وفروعها وصوغ بعضها من بعض ، وفيه بحث عن الابدال والقلب .

(٢) واليوم تسمى (بودرة) من Poudre ، والمعجون (كريمة) من Crème الفرنسية وهي الفشدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net